Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تأويل العنوان وسلطة الفهم المبدئي للنص.

Interpret the title and the authority of the initial understanding of the .text

بولحية صبرينة Boulahya sabrina
جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم
الإيميل: sabrina.boulahya@gmail.com:

تاريخ الاستلام : 2018-12-06 تاريخ القبول : 2019-02-12

ملخص:

إن ما يظهر على سطح النص من إشارات يحتويها ضمن مواطن أولية تسير عليها خطاطة القراءة تمثل في الأخير ما ينتج من الفهم ، إذ ينضاف إليها التوقع الملائم الذي يضمن السير الحسن لبلوغ مقصد النص ، أو ما يقرب إليها ، ذلك أنّ النص لا يكشف عن سرّه ولا يبوح به ، ممّا يسمح له بأن يبقى موطنا ينفي عدميته وتناهيه، ويظل مفتوحاً يرتضي تحيين معناه بإشارات موجّهة من النص ومن ذلك يجعل من العنوان المؤشر الأول الذي يستعد معه القارئ للولوج على غمار مجهول النص، قصد وضع فرضية بدئية عن مضمونه، وبالطبع فإنّ الفعل التعاوني هو الذي يحقق الانسجام الفعلي بين النص وقارئه.

كلمات مفتاحية: العنوان، التلقي، الفهم، التأويل

Abstract:

What appears on the surface of the text from the references contained within a primary citizen on which reading is carried out is the final result of the understanding, as it is added to the appropriate expectation that ensures the good conduct of the purpose of the text, or close to it, because the text does not disclose its secret and does not reveal it, allowing For him to remain a home that denies his will and overhearing, and remains open, with the meaning of references from the text, which makes the title the first indicator with which the reader prepares to access the text of an unknown, in order to establish an initial hypothesis about its content, and of course the Cooperative Act that achieves the actual harmony between a For text and reader.

Keywords : Réception .Intèrprétation.compréhension.titel

مقدمة:

إنّ فعالية النص تتجلى في التكثيف الدلالي ، وهذا ما يأخذ بالقارئ لأن يشحذ تأملاته إلى عالم النص عن طريق وعيه المقوّم حتى يضبط ما هو غير ظاهر ومضمر ويتيح للقارئ الغوص في أعماق النص للولوج إلى الحقيقة القابعة خلفه ، فالمعنى الذي يسكن عمق النص يعيش حتى ما لانهاية، بل حتى النهاية التي يرتضيها له قارئه الفردي تبعاً لنمط معيّن يتخذه فكره وتأويله، شرط عدم الحدّ من فعاليته التدليلية. و يتخذ العنوان لنفسه مركزية الشموخ في تقديم تأويل بدئي عن النص و لهذا كان يمثل الحد الفاصل في براعة الكتابة أو فشلها لأن القارئ لا يلقي ببصره إلى على العنوان أولا ومن تم يأتي النص ليكمل عملية الفهم التي استهوت منذ البداية ومن هنا كان عملنا يدور حول خلفية العنوان كمركز للتأويل و الفهم وما قبل النص ، ليعمل وفق خطية وضعها الكاتب حتى يفك ما يمكن من ترميز مكثف عمل الكاتب لدفع القارئ للغوص في أعماق النص وشد فكره إليه.

1-العنوان وشفرة التأويل:

يشّد النص القارئ المعنيّ أو قارئه النموذجي عبر مؤشرات نصيّة، انتواها توجها للقارئ عبر سلسلة من الترسبات الدلالية التي ينشئها، ومن ثمّ يفسر المعنى باعتباره معطي له أبعاده التقعيدية، وباعتباره كذلك تحفيزات يتم بواسطتها تقديم فرضيات عن مضمونه كونها اسهامات مطلقة باتجاهات مختلفة تكون بالأخير فعلا للإظهار،و تمكّن من الاتصال المباشر بالنص من خلال مقاربة تحفر عن معناه.

فأن نتوجه نحو موضوع محدّد يجب أن يحدّد النص لنا الخطوط القصدية التي يستسيغها بشكل استباقي يمثل الحركة التفعيلية التي يقوم بها القارئ ، إذ النص يعمل على تأليف استراتيجيات نوعية، ومحدّدة شأنها شأن العنوان الذي هو جزء من السيرورات المحفزة التي يشدّ بها النص انتباه القارئ ،كمعطى أوّلي يُستخدم على "أنّه مؤشر موضوعاتي"[21]، يستدل من خلاله على مكامن النص وغاياته، فهو أوّل ما تقع عليه عينا القارئ كبنية نصيّة صغرى يتم الإيحاء لها عن طريق التعميق الدلالي، و التي يتجه إدراك القارئ عبرها بداهة إلى المعنى المستتر داخله كتوجه يستبق النص الذي يكون قد وضع له كفرضية بدئية،و ايضا من خلال هذا الجزء المبني على سطحه الظاهر وحتى يكون بإمكانها أخيراً أن تلتقي مع مغزى النص، أو أن تعيد تصحيحها.

فالعنون هو سمة النص وهو قائم على الفعل الترميزي، كونه يمثل بؤرة يتم عبرها الكشف عن معانٍ ثاوية فيه تقوم على إذكائها وملامسة مفاتحها المستغلقة، ويمكن أن تتواشج مع البنية الكبرى التي هي النص لإنعدام الفصل بينهما، فهو عند **إيكو** " منذ اللحظة التي نضعه فيها مفتاح تأويلي، أو يومئ إلى أمر غائب في النص على القارئ أن يبحث عنه فيه، لاكتشاف البنية الدلالية والجديرة بأولية التحليل"[3]، فهو منبثق بالنهاية من المعنى الكلّي للنص، ذلك أنّ اختيار العنونة تعود إلى حرية المؤلف ، فقد يكون بادئاً بكتابتها أولا وهو أمر نادر الحدوث، وقد تتم كتابتها بعد الفراغ من القصيدة أو الديوان ككل، و يتم الإحالة إليه بتسميته بأحد مقاطع مقتطعة من قصائد ، و إذا أردنا توصيفه بما يليق بالشعر الحديث فنقول (بأحد أسطر شعرية) ، وكذلك يمكنه أن يكون أحد عناوين قصائده، فهو يشكل بحذ ذاته نصاً مصغراً يتعالق مع غيره وينجلي ذلك فيما يمثله من بؤرة تحتضن الكثير من الدلائل المثالية التي يقصد لها، "فتخمين القارئ يعتمد على يقينه العميق بأنّ مواطن الجمال التي تتبدى في الكتاب ليست فقط أثراً للصدفة"[4]، وإنّما كلها تتأتى تأليفاً قبلياً يتجه عبر مسير خطّي يقبله النص.

وإذا كان العنوان يكشف عن هوية النص وجنسه، فهو يتم عبر قراءة الشاعر الذاتية له، وهو بالنتيجة جزء معلّق على رأس النص تدليلاً عليه، ومن الطبيعي أن يوصف "بثريا النص" عند **جرار جنيت (Gerard.Genett)** فهو أوّل ما يتم دراسته من النص، وهو العتبة التي تتقدمه، والتي ينبغي أن يضع القارئ عليها بصره أوّلاً حتى يلج عالم النص ثانياً .

ويختلف العنوان كمعطى ظاهر في صياغته ويتراوح ذلك من كلمة إلى جملة فهو " مجموع الدلائل اللسانية من كلمات وجمل وحتى من نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه وتشير لمحتواه الكلي ولتجدب جمهوره المستهدف"[5]، ويعود بالنتيجة أنّه يمثل زاوية معينة من التأويل، فهو يفتح مغالق النص وتوصيف للجزئيات الكامنة فيه، وفي غمرة اهتمام القارئ به فهو ينفي البون بين النصين (العنوان والنص) ، وقد جعل له **جرار جنيت** وظائف أربعة وهي "تحديد هوية النص ، والوظيفة الوصفية، ووظيفة دلالية ضمنية أو فصاصية والرابعة الوظيفة الإغرائية"[6]، فهو يعمل على تشفير سننه لغاية أكبر تستدعي عقل الآخر لفهم هذه البنية، وبالتالي تغنيه وتجعل من تأويله أكثر فاعلية.

وإذا كان العنوان هو رسالة الكاتب اللغوية التي تحدد هوية النص ، فإنّها تعمل على جذب القارئ وإغرائه وغوايته، فهو حمولة مميّزة ينبجس عنها تعالق تعييني يجعل النص يغتني بكفاءة العنوان الظاهرة، فهو النص المصاحب للمتن فقد أطلق عليه **ج.جنييت** اسم النص المصاحب الذي يدخل ضمن "مجموع الملفوظات التي تحيط بالنص : العنوان ، العنوان الفرعي ، التقديم، الضمنية **(Postface)** فهرس الموضوعات..."[7] ، فهو مصاحب أي ملازم للنص غير منفصل عنه، إذ لا يمكن أن يتمّ التأويل دون أن يرتبط بالإطار الوضعي للنص لارتباطه بالأفق التداولي، و هو محدّد لموقعه ، إذ يعد شحنة يحشو فيها جزئيات دلالية تعمل على تفجير أفق النص وكيانه، فهو ومضة النص التي تنهض على التشكيل الرمزي الذي يترك للقارئ تأويلا لما لانهاية له من التشظيات الدلالية ، و توليداً للإحالات التي لا تنكفئ في ثنايا عوالم النص التي يحتويها.

و يمتد العنوان ليجسد العلاقة البدئية بين القارئ ونصّه ، فهو" عادة أكبر ما في القصيدة إذ له الصدارة ويبرز متميزا بشكله وحجمه ، وهو أول لقاء بين القارئ والنص"[8]، فهو استشرافي يهيئ للقارئ أفقا عن مضمون النص الذي يحمله أثناء مباشرة فعل القراءة، ويعدّ حمولة معرفية قبلية يقوم القارئ ببنائها للاندماج مع النص فعالم العنوان وعالم النص جزءان لا يتجزءان من الكيان ذاته، ذلك أن ثمة مستوى من الفهم الذي يتماشى مع المعطى النصي، بحيث يرتضي النص ذلك الأفق و يوسعه أو ينقبض عنه و يبني غيره، "فالمعنى يبنى انطلاقا من تجميع الوحدات الدلالية أوالكشف عن سياقاتها الجديدة وتفاعلاتها مع الذات القارئة"[9]، التي تخضع بالأخير إلى رؤية حقيقة النص ضمن مسار يفترضه الأفق الذي يقدمه العنوان.

ولا يجهل القارئ أن العنوان هو فعل تنبئي و ترقبي يتمم السؤال عن كيان النص فهو وحده يملك الكفاءة لإعلان حقيقة النص الغامضة، و التي يقابلها برؤية ممكنة تلتمس الخطوط و تستحضرها كنوع من الغياب الذي يُحيَّن، فهو الذي يقدم لنا كل "معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه "[10]، وبالنتيجة يكون العنوان موضوعه (النص) الذي يؤشر له؛ كما يمثل صلة دياكتيكية في علاقته بالعناوين الأخرى فيرتسم إثرها تعالقاً حتمياً، وبالأخير تمثل تعالقاً حميمياً مع النص بحيث يمنحها قيمة خالصة، فهو يحدد الأثر لقارئه بجذبه وإغرائه للمغامرة بقراءته وكشف أبعاده الجمالية. وإذا كانت هندسة العنوان تمثل تشفيراً للنص ، فإن القارئ يعمل على فك هذه الشفرات وفق مبدأ يؤول دلالتها المتعددة ، ويتناسق معها ليفتح مغاليقها ويقيم علائقها بغيرها.

2- **العنوان العتبة الأولى للفهم :**

يستهوينا الغموض غالبا إلى أن نجوب غمار المجهول، وأن نسير على خطى غير موثوقة للانخراط في غياهب النص، والكشف عن مضمراته، والتعرف على ما يخفيه في طياته، كعالم يستدعي مشاركة منّا شئنا أم أبينا مادام لا ضمانة له في التعريف بما يدسّه من معاني لا مرئية عنّا.

إنّ المعاني تملك أحقية البقاء، وما دام هناك من يتعرف عليها فإنّه لا يعدم النص وجوده، ويضحى البحث فيه مهمة لانهائية يعزّزه الفهم الخاص للقارئ دون أن ينتزع منه حياته فهو يحمل نمطاً معينا من فكره؛كما أنّ تأويله لا يحد من فعالية النص التدليلية، فكل قراءة للنص تمثل إعادة لتأويل يمنحه حياة لمعاني تبقيه مستمرا. فالتأويل اللغوي للعالم يتحكم في مجمل تفكيرنا، ومعرفتنا والتسلل إلى خبايا هذا التأويل معناه أن نكبر داخل هذا العالم، إن اللغة بهذا المعنى هي الأثر الخاص لمنتهانا إنها تتجاوزنا باستمرار"[11].

يضعنا النص بفضل طبيعته أمام بناه الدلالية، و أن نوجد مصادرة لمعاني دائمة، على أن يستفز فينا قدرات الإدراك و الذكاء، من خلال تقديمه مؤشرات نصية يعمل على رصفها لقارئه النموذجي، الذي يؤول النص بوصفه فعل تعميق صارم يجتاح كيان النص ليكشف عن نتوءاته، واندساس المعاني في ثنياته."إن اللغة بالنسبة للكاتب ليست سوى أفق إنساني تترسخ في مداه أُلفة ما، وهي سلبية تماما...وأن لغة الكاتب هي رصيد بقدر أقل من كونها حد أقصى ،إنها الموضع الهندسي لكل مالا يستطيع قوله دون أن يفقد...الدلالة الثابتة لإجرائه والحركة الجوهرية لألفته"[12].

إنّ الحفر خلف احتجاب المعنى يستدعي التعمق بالنظر في الومضات التي تتضمن صدى المعنى، وذلك لكي يسهل على القارئ التعرف على خباياه، وبذلك وضع النص عتبة لا بد أن يتخطاها حتى يوغل إلى عمق النص، إنه خطية النص التي يروم القارئ أن يفتح بها هويته، إنه رمز للعالم الصامت الذي تتحين لغته ظهورها ومن ثمّ حياتها.

يعدّ النظام الذي ينشئه النص في القارئ تمثيلا للحظات استباقية عن مضمونه؛ ولكي ينشئ القارئ المعنى لابد أن يفك الخطوط القصدية التي ابتدعها، مادام من الممكن التعرف على المعنى بواسطتها، إنّه يستدعي لنفسه استراتيجية من نوع خاص فهو يضع شحنة من العلامات والأنسنة التي يرصفها كي تمثل تقعيدا يذيّل إلى التبطّن في منغلقاتها فهي مجال الرؤية، وتبعا لذلك نجد العنوان شفرة النص التوجيهية لذهنية القارئ، فهو المحفز الأوّل إلى الولوج في أعماقه، ولا شك أيضا أنّه المحرك الاوّل للرغبة في التماهي معه.

يمثل العنوان معطى أوّلي محفز لالتماس خطوط النص القصدية من موقع ما بعينه، لأنه يشكل " منذ اللحظة التي نضعه فيها مفتاحا تأويليا، أو يومئ إلى أمر غائب في النص على القارئ أن يبحث فيه لاكتشاف البنية الدلالية و الجديدة بأولية التحليل"[13]، إنّه لا يتطابق حرفيا مع النص إنّما هو ممزّق من عالمه، ودليل له إنّه يأخذ شيئا منه، ويمثل بينة ترميزية توحي بالعديد من الدلالات، ولا تدع الضياع مأوى للقارئ ، إذ يقود إلى رفع اشرعة الرحيل في البحث عن مكبوتات النص ومحاولة لإدراك إشاراته المبثوثة فيه ، فلا يمكن تخطيه أو تجاوزه، وبذلك فإنه يمثل بنية صغرى مسكونة بروح النص وتحتوي صداه، والنص يلتحف بهذه البنية غواية للقارئ للنظر في طياته ، ورصد أبعاده ، فيعدم الفصل بينهما .

و الحق أن العنوان لا يمكن بتاتا الافلات منه، إنّه يثير حب الامتلاك كممسك لعالم خفي و منطوي تحت إيحاءات هذه الوحدة الصغرى ، التي تتعالق مع النص ، وتتألف معه، لأنه سمة معلنة عن فرادة الن ، وعن التضايف الذي يمثل المشاركة الفعالة فهو يعتبر "حلقة اساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي النصي"[14]، فهو منبثق من المعنى الكلي للنص، إنه يمثل الوصف الأول لشراكة تتخلق عبر القراءة الذكية، فالنص لا يمكن أن يدرك بمعزل عن عنوانه. فهو المفجّر الاوّل للطاقات التخمينية للقارئ، وهو بؤرة تنّم عن الكثير من الدلالات التي يسوقها للتعرف على جوهر الفكرة، وتوطّد نسقا يستدعي أحقية التأويل.

إنّ هذا الارتهان للعنوان يمثل عند **ليوهوك** "مجموع الدلائل اللسانية من كلمات وجمل وحتى من نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتثير لمعتراه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف"[15]، وقد يتم الاحالة إليه بتسميته بأحد مقاطع مقتطعة من النص أوأحد عناوينه. إنه إعلان عن انتمائه، ليستثير القارئ للاستجابة لمضمرات النص وبيان جنسه ومراميه التي يسندها عبره، قصد تأويلها لتستجتدب النص من الغموض، حيث يؤّمن مسافة متساوية بين مؤشرات النص ومؤشرات العنوان وم ثمّ تترسخ عنه علاقة تكاملية.

والحال أنّ العنوان هو "أول لقاء بين القارئ والنص «[16]؛ فكل عنوان وله ظروفه والآليات التي ينشغل بها فيختلف بناء العنوان وطريقة وضعه من مبدع لآخر كما أنّ اختيارات العنوان تعود في حقيقتها إلى ذاتية لا تستقل عن شروطه التأويلية.

وفي غمرة الاهتمام بالعنوان كنص مصغّر أو موازي، وبما يجسده من حمولة دلالية ومعرفية، فإنّه لا يعتبر مستقلا كروح بذاتها، هو رسالة من مؤلف يقاصد بذلك جذب جمهوره للقراءة والاندماج في كينونة النص أو التأليف، وهذه الرسالة تغدو إيجابية من حيث الاشارة التي يقدمها، وبذلك فهي رسالة

في بعدها الجمالي، "وهي لا تكمن في إيصال المعنى فقط بل في القيمة التي تحملها في ذاتها"[17]، فهو يحمل وظيفة مضاعفة من حيث الاشارة والتوجيه، إذ هو جزء معلق على رأس النص يستشرف الوقوف عنده، وبذاك يعد ثريا النص عند **جرار جنيت (Gerard Genett)** "وهو عتبة ترتسم عليها الملامح البدئية عن اتجاه النص وعالم المعنى الذي يقدمه، "بحيث يعمل دور الرسالة الايحائية التي تثير اللذة بالحقن المتواصل.

ومن البديهي أن العنوان يقدم بداية لتكوين أفق مفترض يمنح إمكانية التأويل من خلال قدرات التخمين والإدراك المستفزة. إنّه أشبه بسجل مفتوح لا يعدم يطرح مجموع التساؤلات اللامنتهية عن متن النص، وبذلك «يواجه سؤال العنوان مواجهة ليست أقل صعوبة من مواجهته لسؤال الابداعية ذاتها، وهي تعانده، وتراوغه قبل أن تسمح له بولوج بعض منافذها في لحظات سديمية غامضة"[18].

وبقدر ما يقل التشكيل اللغوي للعنوان بقدر ما تزيد كثافته، ممّا يضعنا كقرّاء إلى إعمال الفكر والخيال والقدرة المكتنفة بالذكاء، لرصد أحد الملامح الموجودة فيه، "فالمعنى يبنى انطلاقا من تجميع الوحدات الدلالية أو الكشف عن سياقاتها الجديدة وتفاعلها مع الذات القارئة"[19].

وهذا التشويش الذي رغم وظيفة النص الايحائية للقارئ، من شأنها أن تضع رصفا لكل المعاني الملقاة في ذهن القارئ بفعل التخمين، وأن ترتب حسب الأهمية كافتراضات مسبقة عن مضمون عام للنص، وهذا ما يمكّن تعثر القارئ أمام تصلّب العنوان، إنه يمثل الحامل المميز لحقيقة العمل.

وانطلاقا مما سبق جُعل للعنوان وظائف يسند إليها في تكوينه، وقد وضع **جرار جنيت** أربع وظائف يمثلها، "وهي تحديد هوية النص، والوظيفة الوصفية، والوظيفة الدلالية ضمنية أو فصاصية والرابعة وعي الوظيفة الإغوائية "[20]. هذه الحركة الإغوائية كثيرا ما تضيف للنص قيما ما كان ليملكها دونه" فإنّه كذلك كثيرا ما يضيف إلى الكتاب ما ليس فيه !! لأنّ كثيرا من العناوين تتضمن الملامح العريضة لحظة الكتابة التي تبيّن منهج المؤلف وشرطه ومقصوده في كتابته"[21] فهو مكمّل لنص ومتمم له.

اهتّم القدماء بحسن المطالع لاستشرافها تأليفاتهم الشعرية فهي تغدو عندهم بمثابة العنونة التي أضحت عمدة في الدراسات النقدية والسردية «فالغياب الملحوظ للعنوان في الشعر القديم عوض عنه العرب بصيغ بديلة تنهض بوظيفة مشابهة "[22].

يتحدث **جرار جنيت** " بأن العنوان /هو مساعد للنص ويمثل قاعدة له... فهو يلئم الفجوة التي بين المؤلف والقارئ ومقدم للبلاغ من خلال المفردات التي يأتي بها"[23]. فهو مؤشر له من خلال الصلة الديالكتيكية ،إذ نجد أنّ مهمة العنوان لا تتنكر للنص وإنّما تراوغ للدفع إلى اللامرئي من المعاني و النظر فيه من خلال المواجهة العنيدة التي هي شرط للقراءة الفاعلة ، فالعنوان يمثل النص المصاحب الذي يدخل ضمن " مجموع الملفوظات التي تحيط بالنص : العنوان ، العنوان الفرعي ، التقديم ، الضمنية (Post face) ، فهرس الموضوعات ...."[24]، وتمثل هندسة العنوان أكبر مؤشر مساعد، يمثل نصاء موازيا عند **جرار جنيت** من حيث بروزه واحتلاله المكانة المرئية و الظاهرة من النص، و الفاتحة التي تدفع للتواصل عبر الرسالة التي تحتضن الكثير من خزائن النص المخفية داخله.

2-1- العنوان وحوار الأمكنة:

يضع الكاتب في مؤلفه عنوانا محملا بالامكنة في عديد من العناوين الداخلية والذي يغدو امتداد لا ينفصم عن النص وينبني منه؛ وقد نجد من خلال التحليلي الأركيولوجي أن العلامة التي يحيل عليها دالة على العالم المعاش، ويبرز بصورة واضحة من خلال البيئة التي يريد لها أن يكون فيها، ولعل الرغبة الجامحة لتأليف االنص لا تفتأ تتعالق مع ما استفحل وساد في أوساط المجتمع، فكثيرا من القضايا تمثيلا للعالم المعاش.

و الحقّ أنه الأمر الذي يجعل التأويل صعبا ،لأن محاولة المواءمة بين زمنية النص وكل التأويلات حوله، وعصرنة المتلقي تحول دون وضع النص ضمن أفقه الفعلي و تتركه بعيدا عن سذاجته الأولى، وينفلت من براءته، وبذلك فهي مغامرة لقدرة التحام الأفق الراهن بأفق مرتبط بروح عصره الذي عايشه، وهذا ما يؤكد قدرة التواصل و الانصهار التي تغدو المهمة الأولى لتشابك عالمي الأفق من خلال التطبيق، ولذلك نحتاج إلى القراءة المغامِرة ، " فنحن نفهم النصوص التراثية على أساس توقعات المعنى المستمدة من علاقاتنا السابقة بالموضوع"[25]، فإذا كانت اللغة هي الشيء نفسه عند **هيدجر** ، فنجدها التعبير الذي يستأثر بامتياز جميع ملامح الانسانية، أو الكائن ضمن إطار الاجهزة الثقافية المتغيرة القابلة للتحول، وبذلك فإنّ أفق التوقع المبني عند كل ثقافة تبني معنى للكلمة وفق التطورات الحاصلة في الزمن المعاش ، وكذلك تبعا لسلطة القوى السائدة في العقلية العامة، وهذا ما تحدث عنه **هيجل** " البعد الذاتي للإنسان الذي يعبر في الوقت نفسه عن النزوع الحقيقي للعصر هكذا يمكن تأويل نزعات العصر بتأويل مقاصد و أفكار هذا الشخص ...إنّ تجربة التاريخ لا تعني بتاتا تطابق أبعادنا و أهدافنا الشخصية مع النزاعات الحقيقية للأحداث و الوقائع"[26].

فالتاريخ ليس متجمدا إنّه متحول يستحيل على الثبات؛ وبذلك فإنّه تجربته هي الرؤية الفعلية للتغيرات الحاصلة في الوقائع، فاستعادته لا تكون متماثلة تماما لأن العالم لا يحس إلا مرّة واحدة. ويغدو غير متمنع إذا نظر إليه عبر الرؤية الحاضرة للفرد من خلال العلاقة الصافية التي تحدث بطريقة التماهي والانصهار والتقاطع في التجارب الحية التي تمنح عن ذلك من خلال الفهم الحاصل، وهذا التفاعل مع حياة سابقة «ينبغي أن نفهم دلالته، معنى التأويل والفهم هو أنني أفهم وأعبر دلالة النص حسب أقوالي وتعبيراتي الخاصة"[27]. إننا لا نسبي التاريخ أزمنته إنّما ننفذُ إليه لنكتشف عوالمه، من خلال إعادة فهم يؤسس لرؤية هرمنيوطيقيا الماضي العميق، وتأويل خاص يمتُّ بصلة وثيقة للأنا والآنية. فلا مشاحة إذن من كون النصوص تسكنها السلسلة التاريخية.

وعليه نجد أنّ هندسة العنوان قد مثلث تشفيرا بحق على حقبة زمنية ماضية أو معاصرة، وبذلك فالمسار المتوجه نحو النص يغدو صحيحا بالنظر إليه من وضعه، في نقطة زمن معينة فهذه الحمولة المبنية أوليا ستجذب إليها تحديقا إلى ما يتشظى عنها من دلالات.

فلا مجال للشك إذن أنّ الماضي لا يمكن عودته ولم يعد موجودا، لذلك فسيقوّم إذن تبعا للأفق الذي يستشرف بداية النظر إليه، إذ لا تنكفئ تترسب في ثنايا العالم المحكي أزمنة مخبوءة وأمكنة مجهولة، ولحظات عاشت قديما بكل تفاصيلها الممتعة أو المملّة، نحاول إذ ذاك إدراكها وجلبها إلى زمننا، أو نرحل إليها عبر الاندماج مع النص. فتأتي تأتي لتلّم كل المواضيع "إنّها نوع يستوعب عددا هائلا من لأنواع الأدبية، إنها يستوعب مختلف فنون القول والكتابة «[28]

ولمّا كان العنوان المحرك الأول لسيرورة القراءة ومنها يتم بناء الفرضيات فسيتماشى الفهم الخاص الذي استندنا عليه، وبأتي النص ليوسع هذا الأفق أويلغيه ويبني غيره فالمعنى الذي يطرح يتلقى بشكل يجعل الذات تطاوعه لإدراكه وفق أنسنتها " فالمعنى يبنى انطلاقا من تجميع الوحدات الدلالية أو الكشف عن سياقاتها الجديدة وتفاعلاتها مع الذات القارئة "[29]. ومن هنا ندرك الجوهر الحقيقي حول خلفية ذكر الأمكنة وما تستحوذه فينا من الرجوع إليه والانزواء داخله أو الانفكاك عنه فلا مفر من أن العناوين غالبا ما يسكنها روح المكان المتجسد المادي او المعنوي بما أن اللاوعي الباطني لا يمكنه فك هذا الارتباط وهنا ندرك أحقية الأمكنة سواء التي ذكرت حقيقة أو التي رسمت في شكل شفرات محاولة تموهية من الكاتب لقارئه للبحث فيها داخل النص، فالعالم المعاش للكاتب يدرك منذ لحظة التي يولد فيها العنوان.

2-2-ما قبل النص:

إنّ السمة المثلى التي يملكها العنوان هو كونه يمثل خطابا عن نص مصغّر، تماما يمتلك القيمة الإيصالية التي يحملها المتن أو بنية النص الكبرى، فالمفارقة التي يقدمها أنّه حمولة مكتنفة بالعديد من القضايا المطوية داخله، وهو محطّ الرؤية والنظرات التي تنزلق عن شغف تشده إليها أو تبعده عنها.

إنّ العنوان هو فعل إظهار يحاول التلميح غير المباشر، من خلال ما يحمله من لحظات أحيطت بلفظة واحدة ترمز عن وعي بالتطابق مع العصر الذي كتبت فيه وعن القيم التي يحملها المجتمع من قدرة على التواصل، والجلوس للاستماع والحكي عن قصص طوى عليها الزمن عباءته ورحل، حيث ظلت تعرض غير ما مرّة مواضيع مختلفة تهزّ السامع بها مرّة وتوقظ بها مرّة وتعالج بها مرّة، "فقد كانت المقامات مرآة ناصعة انعكست عليها الحياة بمناحيها المختلفة

ومن الجدير بالذكر أنّ القدرة المعرفية التي تتأتى من العنوان تمثيل دقيق عن محتوى النص والقصد والغايات المراد البوح بها " إنّ العنوان وهو يواجه إشكالية النبوغ والتفرد والإبداع بحافظ على الأصول والتراث الثقافي «، ومن ثمّ أضحى العنوان ثمرة انطوت فيها ضلال الثقافات.

ويمكننا القول أنّ أغلب العناوين الفرعية تأتي لتلتصق بها وحدة العنوان الرئيس،، وبذلك نجد أنّه من الطبيعي أن يأتي العنوان المؤلف الاصلي يحمل الوحدة المتكررة في المتن، وأنّ هذه ومن الطبيعي أنّها تعطينا الانطباع الاول لحميمية المكان عبر العلاقات الداخلية التي تمثل إشارة إلى موضوع الأول ، فاحتمل العنوان بذلك الوظيفة الموضوعاتية والتعيينية **فجنيت** يرى "أنّها أهم الوظائف التي يمكنها أن تتجاوز بقية الوظائف، لأنها تريد أن تطابق بين عناوينها ونصوصها"[30].وتتم بذلك التكرارية المسموح بها دون أن تمثل ذلك الخلل الذي يملل السامع أو يشوه جمالية النص .

3-2-النص المستهل وقضية التسمية:

يفترض النص استهلالا يمثل مرورا عبر حركة الحكي والقص للولوج إلى عمق النص، والطريقة في ذلك هو بداية استهلال يشكل عارضة إعلان تلتصق بفاتحة كل نص ضمني تنبئ عن بداية حكاية ما. فالاستهلال هو كل ذلك "الفضاء من النص الافتتاحي /liminaire) بدئيا préliminaire، أو حتما postimilaire (/ والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص لاحقا به أوسابقا له"، فهناك استهلالات عدّة تأتي كلاحقة كمؤشر جنسي يبتعث بحق أحقية الموضوع ويرتضي شكله للقارئ حتى يبرز تلميحا يبتعد عن مبهمه، ويضع طريقا بذاته توجها للقارئ لنوع النص. فمن

بين الاستهلالات " نجد المقدمة / المدخل (introduction)، التمهيد (avant-propos) الديباجة (prolonge)، توطئة (avis) حاشية (notes)، خلاصة / إعلان للكتاب (notice)، عرض/ تقديم (présentation)، قبل (ال) بدء القول (avant-dire) مطلع(prélude) خطاب بدئي (discoures préliminaire)، فاتحة /ديباجة (préambule)، خطبة الكتاب(escorde)"[31].

فأضحى الاستهلال مؤشرا جنسيا عن فعل السرد و القص ، فمن الطبيعي أن يمثل الاستهلال مركزا استراتيجيا لما سيأتي ، فهو ما يجوز به إمكانية التفاعل مع أي متلقي فينشأ التماهي معه وعقب علاقة وثيقة معه فهو تعزيز للعنوان بذلك فهو يكشف أسراره بذاته .القيمة التي يمتلكها من كونه يعد ثان لقاء بعد العنوان يصادفه القارئ ، وهو ما تحاول جمل النص الاستهلالية أن تبنيه في المقامات ، وبذلك فهو يجعل دائما نصب عينيه فعل الحكي ، فلا نراها أي البدايات الاستهلالية مهمة أو حتى سخيفة إنما هي"تقدم اشارات إجناسية و اسلوبية، وتبني عالما تخييليا، وتوفر معلومات أكثر عن الحكاية المروية"[32].وهناك بالطبع ما يحمل تقنية الترميز هذه إلى أن يفتح القارئ هويتها ويفك رموزها وإحلالها بفعل التخييل، ويجعل لها مسكنا من المعنى الذي يستعيره للنص بالربط مع العنوان، فهو يعقد بنية مليئة بالتشاكلات.

والحال أنه بذلك يعقد في اللحظة اندماجا يسند إليه معنى يثبته أو ينفيه، فهو ينتقي إشارة للمتلقي وفعل استدعاء إذ ينفتح على المحتملات الممكن وربطها بالوعي الانساني والحياة المعاشة، إذ يضع بصمت في يد القارئ حدود الحياة وصخبها، ورؤيتها لنفسها للتفاعل مع مسميات التي تظهرها له على وجه لا يريد منه إلا أن يتكون في ذاكرته معناه، وصورة مليئة بالتحركات على ملمح من الوعي التاريخي، الذي يمثل طريقة في الحياة مختلفة عنه، ولكنها تلتصق به من جانب ما. وإذا كان الحديث في أقصى صوره هو عبارة عن رواية للأحداث فإنّ الرواية تصبح "كشكل يحاول أن يلتقط الخبر في فضاء العلاقات المتشابكة، جزء من عملية صياغة الواقع كما أنها شهادته ومستقبله ماضيه وأفقه"، ومن ثم يظهر البعد التفاعلي الذي يدسّ له النصّ جزءا آخر يلحقه به.

2-4-حوارية العنوان وتعالقاته مع النص:

يختزن النص طاقة دلالية ثرية لاشتماله على خصوصية من شأنها أن تحظى بسرّية التكوين، الذي يعمل جنبا إلى جنب النص، كفرضية بدئية عن مضمونه، ومن ثمّ يمثل " ثريا النص" عند جرار جنيت فهو أوّل ما يتم رؤيتها من النص كونه معلقا على رأسه، والذي يغدو بدوره القيمة الافتتاحية التي يسند إليها القارئ إمكاناته التأويلية.

لابد من أن يحمل العنوان في عمقه خاصية المعنى الكلي؛ التي يضعها فيه مبدعه، فمن شأنه أن ينهض على ملء الثغرات والنتوءات التي تستدعي عن وعي، بالتوقف عند عتبة الكيان النصي. إذ "يمكن للعنوان خلافا لما سبق أن يعين نصه مغايرا لمضمونه الحدثي والرمزي، كما يمكنه أن يعيّن شكله قديما كان أم جديدا أو يحدد جنسه الذي ينخرط فيه"[33]، وهنا يحفّز عملية التخيل والتخمين اللتان يمكنهما أن يُظهرا العالم المخبوء داخله، ويتيح فرصه التآلف الذي إمّا أن يبقى عليه، أو أن يخيب ويستعاد بناؤه من جديد، فهو يثبت بطريقة ما حركة التحديق التي تنبئ عن الواقع الذي يعاينه أو يمتد فيه، فهو يلمّ شتات المعاني في ثنياتٍ من العالم الفسيح.

وكثيراً ما تتعالق العناوين مع بعضها البعض مكونة وحدة كلية مع النص الرئيس ، ومشكلة ذلك الالتفاف حول مركزية الكون الأول ، ومن هنا نجد ان فكر القارئ لا يعبث به من طرف الكاتب و إنما هي لعبة فك و تأويل منتهاها تاويل معنى لا يستحيل على قارئ أريد بدءا صنع الفهم الأولي ومن تم نلقي له الضوء على اوليات المعنى حتى لا يتملص القارئ من وضع تفاعله الذي أريد به صنع النص أو بالأحرى معنى ، كان قد مُزِّق من مركزية العنوان الأول وتعالق معه، وهذا التَيْه الذي يجابهه القارئ إنما مصير يطاله كل قارئ رغما عنه، وهي بذلك لعبة التأويل التي تكون ملقاة من المؤلف و تعود بدورها ليمسكها القارئ و يبث فيها روح المعنى الذي يجعل من العمل متمما إن أخيرا أو خالدا لما لانهاية له،و يتجدد مع كل قارئ يجدد بدوره هذه الدائرة التأويلية ويفكك مغزاها و يحلل رموزها.

-خاتمة:

يتعيَّن في البداية أنّ الفهم ينتج حال تلقي القارئ لعناصر النص المكوَّن منها ، ممّا يستدعي حتما متوالية من الإجراءات التي يقترحها القارئ، ومن الضرورة بحال أنّ كل أوجه المعرفة المختلفة تلتقي، لتظهر رصيداً من الافتراضات مطلقاً على حدود الفضاء الخطي للنص، بدءا بالعنوان الذي هو العتبة الأولى للفهم ،وفي النهاية يعتبر النص مركبا من المعلومات التي يحتويها الفكر الذاتي، والتي تحدد كل تفاعل مشروط بسوابق ذهنية أوّلية ينتجها القارئ للوصول خلالها إلى المعنى المرجو منه في الأخير، ويتوقف على كفاءة القارئ الفردية .

فحتى تأويلات القارئ و تعددها مرتبطة بالأساس بالمؤهلات التي يملكها القارئ، الذي يدرك النص تبعاً للفعل التعاوني الذي يقوم به.و كتاليف لا يغني من الإندماجات التي تتعالق بدورها العنونة فإن المعنى لا يعرف بنفسه حالا للقارئ إلا في التباس بين النص و العنوان وفهم القارئ، ومن ثم فهي بنية ممهدة تتراءى لنفسها أن تصف المعنى كما هو موجود في ضمنية النص و من يتم التطابق معه على إثر انصهار أفق النص و أفق القارئ .

- الهوامش:

- قائمة المراجع:

- **المقالات:**
- -أندري دي سنجو، في انشائية الفواتح النصية، تر: معاذ بن إدريس نبع، مجلة نوافذ، ع10، جدة، 1999، ص45.
- -ج.ه.غادامير،الإنسان واللغةتر:عبد العزيز اليزمي،مجلة علامات،ع22،مكناس،2004،ص106
- -محمد الهادي المطواع، شعرية الساق على الساق فيما هو الغارياق، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 1999، ص458.

[1] - أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، تر: أنطوان أبو زيد،

المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء ط1، 1996. ص117.

2-محمد الهادي المطواع، شعرية الساق على الساق فيما هو الغادياق، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 1999، ص458.

4- جان بول سارتر، ما الأدب؟، تر: محمد غنيمي هلال، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، مكتبة الأسرة،2000، ص102.

5- رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، د.ط، 1998، ص 115.

6- بشرى البستاني، فراءات في النص الشعري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2002، ص 33.

7- دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص84.

8- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، النادي الثقافي الأدبي، جدة، د.ط، ص 263.

9- أمبرتو إكو، ست (6) نزهات في غابة السرد، سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005. ص 12.

10- محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي،بيروت الدار البيضاء، ط2، 1990، ص72.

[11] -ج.ه.غادامير،الإنسان واللغةتر:عبد العزيز اليزمي،مجلة علامات،ع22،مكناس،2004،ص106

[12] -رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط2002،1، ص16.

[13] -محمد عبد الهادي المطواع،شعرية الساق على الساق فيما هو الغارياق ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع1، 1999،ص 458.

[14] - يحياوي رشيد، الشعر العربي الحديث ، دراسة في المنجز النصي ، إفريقيا الشؤق ، المغرب، د.ط، 1998،ص 110.

[15] - المرجع السابق، ص115.

[16] -عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية ، المركز الأدبي الثقافي،جدة،1988 ، ص 263.

[17] -بير جيرو، علم الاشارة السيميولوجية ، تر: منذر عياشي ، ط1، 1988، دار طالاس ، ص114.

[18] - يحياوي رشيد، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، ص107.

[19] -أمبرتو إيكو، 06 نزهات في غابة السرد، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي ط1، 2005.ص12.

[20] -بشرى البستاني، قراءات في النص الشعري الحديث، دار الكتاب العربي، ط1، 2002، ص32.

[21] -الشريف حاتم بن عارف العوفي، العنوان الجهيه للكتاب، دار عالم للفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، ص16.

[22] -يحياوي رشيد، الشعر العربي الحديثدراسة في المنجز النصي، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط،1998، ص107.

[23] - Gerard Genette ,paratextes thresholds of intrpritation press syndicate cambridge, newyork ,2001,p45

[24] دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر: محمد يحياتي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2005، ص84.

[25] -هانز جورج غادامير ، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ، دار أويا ، ط1، 2007، ص403.

[26] -غادامير ، فلسفة التأويل ،الأصول.المبادئ.الأهداف تر:محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي ، الجزائر ، بيروت،ط2، 2006.، ص138.

[27] - المرجع نفسه، ص141.

[28] -ناذر كاظم، المقامات و التلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت الأردن ،ط2003،1،ص77.

[29] -أمبرتو إيكو ، 6 نزهات في غابة السرد ، ص12.

[30] -عبد الحق بلعابد ، عتبات (جرار جينيت من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون ،منشورات الاختلاف، بيروت ، الجزائر،ط2008،1، ص78.

[31] -المرجع نفسه، ص ص113، 112.

[32] أندري دي سنجو، في انشائية الفواتح النصية ، تر: معاذ بن إدريس نبع، مجلة نوافذ، ع10، جدة، 1999،ص45.

[33] -عبد الحق بلعابد ،عتبات، ص76.